

## الحجّ .. نص وسُنّة وعمل



◀ - ملابس الإحرام:

التجّرد من ملابسنا المعتادة حيث لا نستتر إلّا بالرداء والإزار، متعرضين لتقليدّيات الجوّ. والظهور بمظهر واحد يتساوى فيه الغنيّ الفقير، والملك والسوق، والقوى والضعف، والأسود والأبيض، فالكلّ متوجه إلى الله في صرامة يسأله التوبة والمغفرة، والجميع في سباق لبلوغ غاية واحدة هي الرضى من الله وقبول العمل.

هذا المشهد الموحّد يوحى بمعانٍ كريمة:

منها الشعور بالأخوة والمساواة "كلاكم لآدم وآدم من تراب".

ومنها تذكير الإنسان باليوم الآخر، يوم يبعث الله الخلاق في موقف متشا به فتطمئن النفوس وتنكسر حدتها وتستشعر بقيمتها الحقيقية التي تحفزها لفعل الخيرات..

ومنها تربية النفس وصقلها لتحمل المشاق وإعدادها للامتحان لأوامر الله تعالى والصبر على طاعته.

وهذا سيؤدي بالتالي إلى ما يهدف إليه الإسلام من خلق مجتمع متماسك قوي، يسوده العدل والتالفة، وتحقيق السعادة والرخاء.

### - سُنَّة الطواف:

عن كعب الأحبار قال: أنزل الله تعالى من السماء يا قوتة مجوفة مع آدم (ع)، فقال له: "يا آدم إن هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلّي حوله كما يصلّي حول عرشي".

ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة، ثم وضع البيت عليه، فكان آدم (ع) يطوف حوله كما يطاف حول العرش، ويصلّي عنداته كما يصلّي عند العرش.

وجاء في رواية أخرى أنّه كان أول شيء عمله آدم (ع) حين أُهْبِط من السماء أن طاف بالبيت فلقيته الملائكة فقالوا: "بُرّ نسك يا آدم فقد طفنا بهذا البيت قبلك بـألفي عام".

وقد ورد في رواية أخرى أنّه لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن (ع) من بناء البيت الحرام جاءه جبريل (ع)، فقال: "طف به سبعاً، فطاف به سبعاً هو وإسماعيل، يستلمان الأركان كلّها في كل طواف. فلما أكملا سبعاً صلّيا خلف المقام ركعتين".

هذا وأنّ العرب منذ أقدم العصور، بل منذ أن أقام إبراهيم البيت كانوا يطوفون به ويعظمونه ويقدسونه، ويلوذون به كلّما حز بهم أمر. كما كانوا يعطّمون الحجر الأسود تعظيمًا كاد يدفعهم إلى حرب عنيفة حين أرادوا وضعه في مكانه عندما جدوا بناء الكعبة.

ونحن الآن نعطي الحجر الأسود تعظيمًا يجعلنا نبدأ طوافنا به، ونُقبّله إذا استطعنا تكريماً لنقطة البدء في عبادة الطواف.

### وفي القرآن الكريم:

(ثُمَّ لَيَقْهُوا تَفَثَّهُمْ وَلَيُوفُوا زُدُورَهُمْ وَلَيَطَّهُرُوا بِسَالِبَيْتِ  
الْعَتَيقِ) (الحج / 29).

(وَطَهَرْ بَيْتِي لِلطَّائِفَيْنَ وَالْقَائِمَيْنَ وَالرُّكْعَ السُّجُودِ) (الحج / 26).

السعى بين الصفا والمروة يسجل ذكرى سعي هاجر وهروتها هنا وهناك باحثة عن الماء لولدها الطامدة إسماعيل، إذ كانت تجري بين الصفا والمروة صاعدة على كلّ منها لعلّها ترى مكان ماءٍ تسقي ولدتها حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرّج شدّتها وفجّر لها (زمزم).

فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله و حاجته إليه في هداية قلبه، وصلاح نفسه، وغفران ذنبه، وأن يلتتجئ إلى الله عزّ وجلّ لتفريح ما به من الشدائيد والنقائص والعيوب، وأن يهديه ويفرج عنه كما هدى هاجر وفرج عنها.

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) (البقرة / 158).

### - الوقوف بعرفة:

مضى إبراهيم (ع) في حجّه وجبريل يوقفه على المواقف ويعلاّمه المنساك حتى انتهى إلى عرفة. فقال له جبريل (ع): "أعرفت مناسكك؟" قال إبراهيم (ع): "نعم. الآن عرفت عرفة". فسميت عرفات بذلك.

- الرمي:

لمّا قام جبريل يعلّم إبراهيم المنساك كلّها، قيل فلما دخل منى وهبط من العقبة تمثّل له إبليس عند جمرة العقبة. فقال له جبريل (ع): "ارمه"، فرماه إبراهيم (ع) بسبع حصيات فغاب عنه. ثمّ برز له عند الجمرة الوسطى، فقال له جبريل: "ارمه". فرماه بسبع حصيات، فغاب عنه إبليس. ثمّ برز له عند الجمرة السفلى، فقال له جبريل: "ارمه"، فرماه بسبع حصيات فغاب عنه إبليس.

- الهدى:

والذبح الذي نفعله أيام الحجّ، إنّما هو تخليد للفداء الذي نجّى به إسماعيل من الذبح:

(فَتَاهَ أَسْلَمَ وَتَاهَ لِتَاهَيْنِ \* وَزَادَ يَنْدَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ مَدَ قَوْتَ الرُّؤْيَا إِنْ كَذَلِكَ زَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْدِينُ \* وَفَدَ يَنْدَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) (الصافات/ 103-107).

فنحن نذبح شُكراً لذّعمة الله على إبراهيم وإسماعيل وعلىينا جميعاً، وإحياءً لذكرى هذه الذّعمة الجليلة. فمن إسماعيل الذي نجّاه الله وفداه، جاء النسل الكريم الذي توجّه نبينا عليه الصلاة والسلام، المبعوث رحمة للعالمين: ففي نجاوة إسماعيل وفداه، نجاوة وفداء لخاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة ونجاة للجنس البشري كلّه الذي جاءه محمد بالهداية والنور، فعليه أن يشكّر الله عليها، ويقترب إليه بما جعله فداء لإسماعيل، وهو إراقة الدماء لإطعام الفقراء والمساكين.

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ إِنْ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عَنْدَ رَبِّهِ) (الحجّ/ 30).

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ إِنْ فَإِنْهَا مِنْ تَرَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَذَاجِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ ثُمَّ مَحْلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (الحجّ/ 32-33).

- الحجّ في القرآن الكريم:

(إِنْ أَوْلَ بَيْتٍ وَضِعْ لِلنَّاسِ لِتَاهَذِي بِتَاهَكَّةَ مُبَدَّأَرَكَّا وَهُدَى لِتَاهَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيْنَهَا مَقَامٌ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلَمْ يَعْلَمْ الذَّاسِ حِجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّهُ أَنَّ غَنْمِيَ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران/ 96-97).

(الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَارَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جَدَالٌ فِي الْحَجَّ وَمَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ إِنْ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّهُ خَيْرٌ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولَئِي الْأَلْبَابِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنْاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَهُلَا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا إِنَّ عَنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَّا كُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْنَ الصَّالِّينَ \* ثُمَّ أَفْيِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْيِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْيِضُوا وَلَا يَنْ إِنْ غَهُورٌ رَحِيمٌ \* فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَذَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا إِنْ كَذَكُرَكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذَكْرًا فَمَنِ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبِّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ \* وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبِّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ

وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِدَّمَاءَ عَادَابَ النَّارِ \* أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَإِنَّ سَرِيعَ الْحِسَابَ \* وَإِذْ كُرُوا إِنَّ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَاجَلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَاءَ لِيَوْمَهُ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَاءَ لِيَوْمَهُ لِمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا إِنَّ وَاعْلَمُوا أَنَّ كُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (البقرة/ 203-197).

(وَأَذْنَنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتِيَ تُوكَرْ جَالَّا وَعَلَى كُلِّ صَاحِبٍ يَأْتِيَ مِنْ كُلِّ فَجْعَ عَمَيقٍ \* لَيْلَةَ شَهْدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَاءَ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَأَوْهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَزْعَامِ فَكَلُّوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَيْتَ الْمَرْءَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لَيْقَهُمْ تَفَتَّهُمْ وَلَيْقُوهُمْ نُذُورَهُمْ وَلَيْطَّوْهُمْ فَوْا بِالْبَيْتِ الْعَتَيقِ \* ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) (الحج/ 30-27).

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَذَابِيَّةً لِلنَّاسِ وَأَمْذَمَّا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى وَعَلَهُ دُنْيَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرَ أَبَيَّنِي لِلطَّائِفَيْنَ وَالْعَاكِفَيْنَ وَالرُّكْعَيْنَ السُّجُودِ) (البقرة/ 125).

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ إِنَّ فَمَنْ حَجَّ إِلَيْهِمْ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنْدَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوْهُ فَبِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ إِنَّ شَاكِرَ عَلَيْمٌ) (البقرة/ 158).

(وَأَتَمْمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِللهِ فَإِنَّ أُصْرَرْ تُمْ فَمَا اسْتَدِيَ سَرَّ مِنَ الْهَدَى وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدَى مَحْلُومَهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدِيَةٌ مِنْ صَيَّامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ زُسُكٌ فَإِذَا أَمْنَتُمْ فَمَنْ تَمَدَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجَّ فَمَا اسْتَدِي سَرَّ مِنَ الْهَدَى فَمَنْ يَجِدُ فَصَرِيَّاتُهُ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ فِي الْحَجَّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةُ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرٌ إِلَمْسَجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا إِنَّ وَاعْلَمُوا أَنَّ إِنَّ شَدِيدُ الْعَقَابِ) (البقرة/ 196).

(وَالْبُدُونَ جَعَلْنَا هَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ إِنَّ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَاءَ إِلَيَّهَا صَوَافِيْنَ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكَلُّوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَارِعَ وَالْمُعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ \* لَنْ يَنْدَالَ إِنَّ لَجُومُهَا وَلَا دَمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنْدَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرْهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا إِنَّ عَلَى مَا هَدَأَكُمْ وَبَشَّرَ الْمُحْسِنِينَ) (الحج/ 36-37).

### - الحج في سُنة الرسول (ص):

\* عن الحسن بن علي (ع) قال: جاء رجل إلى النبي (ص)، فقال: إنّي جبان وإنّي ضعيف، فقال (ص): "هلْمَ إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج".

\* عن الصادق عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص) في حديث: "حجّوا تستغنوا".

\* عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول الله (ص): "مَنْ ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحجّ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصراانياً".

\* عن عبد الله بن مسعود أنسه قال: قال رسول الله (ص): "تابعوا بين الحجّ وال عمرة، فإنّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكبير خبائث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجّ المبرورة ثواب إلا

\* عن علي بن الحسين (ع) أرْزَهُ قال: قال رسول الله (ص): "مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلِيؤْمِنْ هَذَا الْبَيْتُ".

\* عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) في وصيته للحسن والحسين (ع): "أوصيكم بتنقّوا إِلَيْهِ". إلى أن قال: "وَإِنَّكُمْ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تَخْلُوْهُ مَا بَقِيْتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكْتُمْ لَمْ تَنَاطِرُوا".

\* ومن وصية له (ع) أيضاً: "لَا تَنْتَرُوكُمْ فَتَهْلِكُوْهُ". وقال (ع): "مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ لِحاجَةِ مَوَاجِهِ الْدُّنْيَا لَمْ تَقْصُرْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُحَلَّقِينَ".

\* ومن خطبة له (ع) في نهج البلاغة: "وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ فِيْلَاهَ لِلأَنَامِ، يَرْدُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلُؤْهَ الْحَمَامَ، وَجَعَلَهُ سَبَاحَةً، سَبَاحَةً عَلَامَةً لِتَوَاضُّعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعَزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاً عَالَمَ أَجَابُوا إِلَيْهِ دُعَوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلْمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطَيِّفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَبَدِّلُونَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سَبَاحَةً وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَامًا وَلِلْعَائِذَيْنَ حَرَمًا، فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتِهِ، فَقَالَ سَبَاحُهُ (وَلِلْمُلْهُ عَلَيَّ الْذَّاسِ حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَافَرَ فَإِنَّهُ أَنَّ غَنَمِيْنَ الْعَالَمِيْنَ)".

- ما ينبغي للحجاج عَمَّا تُهُنْهُ قبل السفر إلى الحجّ؟

1- يكتب ما له من الديون وما عليه منها، حرصاً على ضمان حقّه وحقّ الآخرين.

2- يدوّن وصيته. ويستحب أن يوصي بجزءٍ من ماله للفقراء والمساكين.

3- يبادر إلى التوبة، ويسارع إلى ردّ مطالم الناس، ويندم على ما بدر منه من تقصير في حقّه إِلَيْهِ سَبَاحَةً وَتَعَالَى.

4- يختار أطيب ما له ليستعين به على مطالب الحجّ ونفقاته.

وقد ورد عن رسول الله (ص): "إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًا بِنَفْقَةِ طِبَّيَّةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الغَرْزِ، فَنَادَاهُ: لِبَّيْكَ اللَّهُمَّ لِبَّيْكَ، زَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لِبَّيْكَ وَسَعَدَيْكَ، زَادُكَ حَلَالٌ، وَرَاحَلَاتُكَ حَلَالٌ، وَحِجَّتُكَ مَبِرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَيْثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الغَرْزِ، فَنَادَاهُ فِي الغَرْزِ: لِبَّيْكَ، زَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لِبَّيْكَ وَلَا سَعَدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ، وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحِجَّتُكَ غَيْرُ مَبِرُورٍ".

5- يجب على الحاج أن يقصد بحجّه وعمريته وجهه تعالى. لأنّه أعزّ وجلّ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم. فإذا ذهب الحاج إلى مكانة لبضاعة يشتريها أو لقب يتفاخر به فحسبه تعبر جسمه، وضياع وقته، وذهب ماله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَعْاجِلَةَ عَجَّلَنَّا لَهُ فِيهَا مَا زَانَ شَاءَ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلَنَّا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا \* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ كَانُوا سَعْيَهُمْ مَشْكُورًا) (الإسراء / 18-19).

6- ويستحب إذا ركب الحاج دابته أو سيارته أو الباخرة أو الطائرة أن يُسمى باسمه إِلَيْهِ كُنْدَةً لَهُ مُقْرَنِينَ \* ويكبره، ثم يقول: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنْدَةً لَهُ مُقْرَنِينَ

وَإِنَّمَا إِلَيْ رَبِّنَا لَمُنْدَقَلْبُونَ) (الزخرف/ 13-14).

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ فِي سُفْرِي هَذَا الْبَرَّ وَالْتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرَضَى. اللَّهُمَّ هُوَ نَعْلَمْ عَلَيْهِ سُفْرِي هَذَا وَاطْبُ عَنِّي بُعْدَهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السُّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْنَاءِ السُّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ". ▶

المصدر: كتاب الحجّ إلى بيت الله الحرام